

توجيه المعنى في شروح خطبة الزهراء سلام الله عليها

شرح العلامة المجلسي أنموذجا

أ . د . مزاحم مطر حسين

جامعة القادسية / كلية التربية

muzahem.hussein@qu.edu.iq

تأريخ الطلب: ٢٠٢١ / ٣ / ١٢

تأريخ القبول: ٢٠٢١ / ٤ / ٢١

مسمى الاحتمال وتارة ينظر بعيون المتلقين

الأخرين للنص ؛ فيذهب إلى تعدد المعنى طبقا لما يرونه من احتمالات متعددة قد تقتضيها مسوغات لغوية مختلفة، فيعمد إلى تقسيم تصوراتهم التي قد تتسع لتشمل احتمالات متعددة للعبارة الواحدة.

Study summary

This study seeks to track the reasons for the multiplicity of meaning in the annotations to the text of Mrs. Zahra's sermon (may God's peace be upon her) and to explore methodological features in dealing with it The study in this endeavor takes into account the presence of many factors that played a prominent role in the consolidation of the phenomenon of multiplicity of meaning, inspired by the culture of the narrators

ملخص الدراسة:

تسعى هذه الدراسة لتعقب أسباب تعدد المعنى في شروح نص خطبة السيدة الزهراء (سلام الله عليها) واستكشاف الملامح المنهجية في التعامل معها؛ والدراسة في سعيها هذا تضع في حساباتها وجود عوامل كثيرة لعبت دورا بارزا في ترسيخ ظاهرة تعدد المعنى بوحى من ثقافة الشراح أنفسهم، أو بوحى من الثقافات المتعددة لمن نقل عنهم الشراح. وقد اتخذت الدراسة من شرح العلامة المجلسي رحمه الله أنموذجا؛ لأنها وجدت هذا العلامة يظهر عناية واضحة بتعدد وجوه المعنى المحتملة التي تؤديها عبارات الخطبة، ويسعى لتقصي طاقات النص والكشف عن احتمالاته الدلالية؛ معتمدا تارة على تصوره الذاتي للمعاني المحتملة بوصفه متلقيا للنص، فيضع تصوره ذلك تحت

تاريخ الخطابة النسوية ؛ ونموذجا منفردا لإتقان الأداء الخطابي ، فقد تضافرت الإمكانيات المتعددة المتمثلة في دقة اختيار المفردات والتراكيب والإحالات على جعل النص يزخر بالطاقات الدلالية الثرية، ويفسح المجال واسعا أمام قراء النص لتوجيه المعنى وتأويله ؛ ولذا فقد حظيت خطبة الزهراء سلام الله عليها باهتمام بالغ من الشراح فقد تعاقب على شرحها والاعتناء بها عدد من الشراح في حقبة زمنية مختلفة ، وقد شهدت تلك الشروح تطور تاريخيا في منهجها ، بدأت المرحلة الأولى لهذه الشروح بما يمكن أن نسميه بالشروح (الضمنية)، وهي الشروح التي كانت تدرج شرح الخطبة في ثنايا كتاب يتناول موضوعات متعددة ، ويأتي شرح الخطبة في ضمن الحديث عن أخبار السيدة الزهراء (سلام الله عليها) وبعض أحوالها ؛ بمعنى أن هذه الشروح لم تكن مستقلة في كتاب منفرد مخصص لشرح الخطبة فقط، و لعل أشهر شرحين ضمنين يمثلان هذه المرحلة هما: شرح القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ) فقد قام القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي بشرح هذه الخطبة في كتابه

themselves, or by the inspiration of multiple cultures for whom the narration was quoted. The study took an example from the explanation of the scholar Al-Majlisi, may God have mercy on him. Because it found this sign, it shows clear interest in the multiplicity of possible meanings performed by the sermons, and seeks to explore the energies of the text and reveal its semantic potentials; Depending on his self-perception of the possible meanings as a recipient of the text, his perception then puts it under the name of probability and sometimes he looks in the eyes of other recipients of the text; He goes on to enumerate the meaning according to what they see of multiple possibilities that may be required by different linguistic rationale, so he introduces their perceptions that may expand to include multiple possibilities for a single phrase

شروح الخطبة:

ما من شك أن خطبة السيدة الزهراء (سلام الله عليها) تمثل نصا استثنائيا في

- (شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار) في الجزء الثالث من هذا الكتاب^(١) و الكتاب مطبوع بتحقيق السيد محمد الحسيني الجلاي في سنة ١٤٣١هـ.
- أما الشرح الضمني الآخر فهو شرح العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) إذ أورد العلامة المجلسي خطبة الزهراء عليها السلام في موسوعته الحديثية (بحار الأنوار) ثم اتبع ذلك بشرح للخطبة^(٢)
- أما المرحلة الثانية من الشروح فهي الشروح (المستقلة) وهي الشروح التي خصصت كتابا منفردا لشرح الخطبة ولعل أشهر هذه الشروح المعروفة التي وصلت إلينا باللغة العربية هي:
- شرح خطبة الزهراء لأبي القاسم الخوانساري (ت ١١٥٨هـ) قام السيد أبو القاسم جعفر بن الحسين الخوانساري بوضع كتاب (شرح خطبة الزهراء) والشرح مطبوع بتحقيق السيد محمد الغريفي في سنة ١٤٣١هـ ضمن سلسلة الأعمال المتفرقة لدار حفظ التراث البحراني.
- كشف المحجة في شرح خطبه اللمة: السيد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢هـ) والشرح مطبوع بتحقيق الشيخ علي الأسدي في مكتبة فذك لإحياء التراث ٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ.
- اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء للأنصاري التبريزي (ت ١٣١٠هـ) والشرح مطبوع بتحقيق السيد هاشم الميلاني بمطبعة مؤسسة الهادي، إيران - قم ١٤١٨ هـ.
- الدرة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام السيد هادي الصايغ (ت ١٣٣٧ هـ) والشرح مطبوع بتحقيق محمد جواد نور الدين فخر الدين ضمن مجلة تراثنا التي تصدرها مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث العدد ١٠٧ السنة ٢٧ مطبعة ستاره - قم، ١٤٣٢هـ.
- شرح خطبه الصديقة فاطمة الزهراء: للشيخ الخاقاني (ت ١٤٠٦هـ) والشرح مطبوع بتحقيق وتوضيح وتعليق نجله

أوضحه بقوله : (هذا كتاب بلاغات النساء وجواباتهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن على حسب ما بلغته الطاقة واقتضته الرواية واقتصرت عليه النهاية مع ما جمعنا من أشعارهن في كل فن مما وجدناه يجاوز كثيراً من بلاغات الرجال المحسنين والشعراء المختارين)^(٤)

وقد كان الأعجاب ببلاغة هذه الخطبة من أهم دوافع العلامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) لوضع شرح لها ، فقد أورد الخطبة في كتاب بحار الأنوار^(٥) ثم ذيل الخطبة بشرح لها قائلاً : (ولنوضح تلك الخطبة الغراء الساطعة عن سيدة النساء صلوات الله عليها التي تحير من العجب منها والإعجاب بها أحلام الفصحاء والبلغاء، ونبني الشرح على رواية الاحتجاج ونشير أحياناً إلى الروايات الأخر)^(٦)

أما المولى الأنصاري (١٣١٠هـ) فيرى أن هذه الخطبة في نهاية الفصاحة وغاية البلاغة وانها دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق فيقول : (اعلم أن هذه الخطبة الغراء، والدرة البيضاء، خطبة في نهاية الفصاحة وغاية البلاغة، من حيث عذوبة

محمد كاظم طاهر ال شبير
الخاقاني ضمن منشورات دار
الهدى ، بمطبعة سيد الشهداء-
قم ، ١٤١٢هـ.

- شرح خطبة الزهراء عليها السلام
وأسبابها : الشيخ نزيه القميحا
والشرح مطبوع في بيروت- لبنان
١٩٩٥م - ١٤١٥هـ.

دوافع شروح الخطبة :

وتعددت الدوافع مثلما تعددت الشروح فعند استقراء شروح خطبة الزهراء سلام الله عليها - بنوعيتها الضمني والمستقل - يظهر لنا مجموعة من الدوافع التي حدت بالشرح لوضع هذه الشروح ولعل أهم هذه الدوافع :

١- بلاغة الخطبة وفصاحتها:

لعل كتاب (بلاغات النساء) لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (المتوفى: ٢٨٠هـ) من أقدم الكتب الأدبية التي احتفت بخطبة الزهراء سلام الله عليها بدافع من بلاغتها، وهذا ما يوضحه إيراد هذه الخطبة مطولة^(٣) طبقاً لمنهج القاضي بإيراد النصوص البليغة التي وجدها تتجاوز كثيراً من بلاغات الرجال المحسنين والذي

ألفاظها الكافية، وغرابة مضامينها الشافية،
وجزالة معانيها الوافية مع ما عليها من
البهاء والجلالة، والرواء والديباجة، بحيث
لو خوطب بها الجبال الشاخنة لرأيته
خاشعة متصدعة، وإن لم تؤثر في تلك
القلوب القاسية التي كانت كالحجارة أو
أشد قسوة. وهي كلام دون كلام الخالق
فوق كلام المخلوق^(٧)

والأمر ذاته يظهر عند السيد عبد الله
شير^(١٤٤٢هـ) الذي يذكر أنه وضع
الشرح لأن الخطبة قد حيرت الفصحاء
وتعجب منها البلغاء وهو ما جعل بعض
العلماء يلجّ عليه في وضع شرح لها يقول
: (فلما كانت الخطبة الغراء التي رواها
المخالف والمؤلف عن فاطمة الزهراء(ع)
ساطعة الأنوار ظاهرة المنار قد تحيرت منها
أحلام الفصحاء وتعجبت منها أفاضل
البلغاء، ألحّ على بعض العلماء العاملين
والفضلاء الورعين أن أعلق عليها شرحا
مختصرا ، يوضح بعض مشكلاتها ويفتح
جملة من مغلقاتها فأجبت مأموله بالسمع
والطاعة)^(٨)

وهو يرى أن فصاحة الخطبة وبلاغتها
مغنية عن إلماس الأسانيد لها قائلا :
(اعلم ان هذه الخطبة الشريفة يغني

فصاحة مضمونها وبلاغة مشحونها عن
ملاحظة سندها فان من جواهر مبانيها
وأنوار معانيها دلائل حق وشواهد صدق
على صدورها من ربة العلوم الربانية
وصاحبة الأسرار الفرقانية المخلوقة من
الأنوار الإلهية فهي كنهج البلاغة
والصحيفة السجادية)^(٩)

٢-التقرب إلى السيدة الزهراء صلوات الله
عليها:

وهو من الدوافع الحاضرة في شروح خطبة
السيدة الزهراء سلام الله عليها ، إذ يذكر
بعض شراح الخطبة أن جانباً مهماً من
غرضهم لوضع تلك الشروح يكمن في
شخص السيدة الجليلة ومحاولة التقرب
إليها ؛ نظراً لما تملكه هذه السيدة من
مكانة مقدسة في قلوب المؤمنين ، فهذا
السيد أبو القاسم جعفر بن الحسين
الخونساري^(١١٥٨هـ) يذكر ان هذا الشرح
الذي وضعه لخطبة الزهراء سلام الله عليها
(ليكون لحقها الجليل الواجب اداء
وشكرا و لعبدها الدليل المذنب عدة
وذخرا وللمؤمن المحب هدية وذكر و على
الكافر الناصب حجة كبرى)^(١٠)

أما الشيخ نزيه القميحا فيذكر أن أحد
دوافع وضع الشرح هو طلب (شمول

الرحمة) لأن هذا الشرح هو من باب أحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وإحياء أمرهم يوجب الرحمة فيقول : (وإنما ذكرنا هذه الخطبة وغيرها من الكلام حتى تشملنا الرحمة التي تشمل كل من يحيي امر البيت عليهم السلام استنادا للحديث (أحيوا أمرنا رحم الله من أحيأ امرنا))^(١١)

٣- استجابة لرغبة بعض الأشخاص في وضع الشرح:

نجد في بعض الشروح ان المؤلف وضع شرحا لخطبة الزهراء سلام الله عليها استجابة لرغبة أحدهم في وضع ذلك الشرح، كما هو الحال مع المولى محمد علي بن أحمد القراجة داغي الأنصاري (١٣١٠هـ) الذي يذكر أنه استجاب لأمر (مؤيد الدولة والملة) الذي طلب منه ذلك يقول الأنصاري: (ان حضرة الجنا ب العالي الشأن... مؤيد الدولة والملة أدام الله تأييده وإمداده قد أمر داعية بالإخلاص والإرادة أن يكتب شرح الخطبة الشريفة المنيفة)^(١٢)

أما السيد هادي الصائغ (١٣٧٧هـ) فقد وضع الشرح لأن بعض الإخوان قد ألتمس منه ذلك طبقا لمواصفات ذكرها فأستجاب لذلك الالتماس فيقول : (أنه

قد التمس مني بعض إخواني المؤمنين أن أشرح خطبة سيّدتنا وسيّدة نساء العالمين شرحاً يوضّح مشكلها ويحلّ معضلها ، وأن أضيف إلى ذلك من أخبار أهل البيت(عليهم السلام) ما يناسب المقام ، فأجبتة إلى ذلك راجياً من الله حسن الثواب يوم الحساب)^(١٣)

٤- بسبب مضامين الخطبة العالية:

يذكر بعض الشراح أن من بين دوافع وضع الشرح هو ما تحويه الخطبة من مضامين عالية ينبغي الوقوف عليها فالشيخ محمد طاهر ال شُبَيْر الخاقاني (١٤٠٦هـ) يرى أنها قد احتوت على جملة من علل التشريع بإيجاز ولذا يقول : (لو نظرت إلى هذه الخطبة بعين الإنصاف فسترى ما فيها من عظيم بيان لبعض علل التشريع على ما فيها من الإيجاز)^(١٤)

أما ولده الشيخ محمد كاظم طاهر الخاقاني فيبين أن سبب أقدامه على أكمال شرح والده أن هذه الخطبة بمضامينها العالية تمثل (بيان روح الإسلام السامي) قائلاً : (إن هذه الخطبة العظيمة التي هي بيان روح الإسلام السامي قد شرحها الوالد قدس الله سره ولكن بقي منها بعض الفقرات لم

تشرح فأحببت على قدر الإمكان تتيما
للفائدة اكمل شرحها^(١٥)

وهو أحد أهم دوافع الشيخ نزيه القميحا
الذي يذكر أن أن شرح الخطبة (لما فيها
من المضامين والمفاهيم الإسلامية
العالية)^(١٦)

أن تعدد مناهج شروح الخطبة وتطورها ،
واختلاف الدوافع في تأليفها ؛ يضعنا أمام
حقيقية علمية لا يمكن التغافل عنها ،
وهي أن (نص الخطبة) كان ولا يزال يثير
المتلقي ، ويدفعه نحو إمعان النظر فيه ،
لعل من بين أهم الأسباب التي تقف وراء
ظاهرة تعدد شروح الخطبة والعناية بها؛ هو
النص نفسه فقد بُني النص بطريقة بارعة ،
انتهت به ليكون نصا منفتحا ، يستقبل
القراءة ، ويرحب بإمعان التأمل في
المضامين والرؤى المحتملة، ويناسب ما
تقتضيه تلك المرحلة التاريخية من
خصوصيه في إصدار البيان الأول الذي
يشجب الظلم والظالمين في أول مواجهة
علنية بحضور المهاجرين والأنصار، فكان
بناء النص يقتضي هذا الاختيار المتقن
الذي يترك مساحة للتدارس والإعجاب
والتأمل ، وهو ما عبر عنه الشيخ المجلسي
(بالنص المحيّر) عندما قال أن هذا الخطبة

قد : (تخير من العجب منها والإعجاب
بها أحلام الفصحاء والبلغاء)^(١٧) هذا
(العجب والإعجاب) بالنص كان عماده
الأول - فيما نحسب - ذلك البناء
الواعي لطريقة إنشاء النص وجعله منفتحا
أمام المتلقي، وقابلا للتأمل وإعمال الفكر،
وشحن العبارة بمحمولة قصوى من كثافة
المعنى وتركيزه.

وقد اعتنت هذه الدراسة بجانب توجيه
المعنى عند الشراح ؛لأنني لم أجد عليه
دراسة مستقلة مع أنه يشكل جانبا مهما
من جوانب عناية الشراح بهذه الخطبة ،
وجعلت من شرح العلامة المجلسي نموذجا
رئيسا نتوخى من خلاله جهد الشراح في
توجيه معنى الخطبة ؛ وذلك لجملة من
الأسباب يأتي في مقدمتها انه ثاني أقدم
الشروح الضمنية التي وصلت إلينا بعد
شرح القاضي النعمان المغربي ، وأكبرها
وأوسعها حجما ، وهو من أكثر الشروح
التي اعتمدت الروايات المتعددة في إيراد
الخطبة وهو ما وقر للشرح مساحة أكبر في
الكشف عن مقاصد الخطبة و أغراضها ،
فضلا عن اعتماد الشرح على كثير من
المصادر العلمية اللغوية ، وهو بعد من
أكثر الشروح عناية بإيراد الاحتمالات

المتعددة لمعاني العبارات وتفسيرها وهو ما حدا بهذه الدراسة إلى اعتماده في هذه الدراسة ، ومضت في التركيز على إظهار قدرة الشارح في توخي الوجوه المتعددة لمعنى النص، والكشف عن آليات تعدد المعنى في فهم نص الخطبة وتفسيرها، وهو أمر شجعنا عليه إشادة بعض الشراح بمكانة هذا الشرح وأهميته^(١٨)

ومما هو جدير بالذكر هنا أنه قد بدا لبعض الدارسين - شعورا منهم بأهمية شرح العلامة المجلسي - أن يعتمد إلى هذا الشرح فيستله من كتاب بحار الأنوار ويجعله في كتاب ، ولعل أهم محاولتين في هذا المجال هما: ما قام به آية الله الشيخ محمد تقي شريعتمداري إذ إنه عمد إلى تأليف كتاب (الزهراء عليها السلام وخطبة فدك - شرح الخطبة الفدكية- للعلامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي)

وكان عمل الشيخ في هذا الكتاب يتلخص في إيراد شرح العلامة المجلسي والتعليق عليه وإكماله كما هو ظاهر من توصيف الشيخ في صفحة عنوان الكتاب وقد اشتمل كتاب الشيخ شريعتمداري هذا على الخطبتين (الكبرى والصغرى) للسيدة الزهراء سلام الله عليها ونعني

بذلك الخطبة التي كانت خطبتها في مسجد النبي صلى الله عليه وعلى آله بمحضر المهاجرين والأنصار والخطبة التي خطبتها في بيتها في نساء المهاجرين والأنصار، وقد أوضح ذلك بقوله (فجعلت الأصلي شرح المجلسي قدس الله سره وأضفت إليه زوائد فكري وعوائده خواطري)^(١٩)

أما عن الدافع لهذا الصنيع من العناية بشرح العلامة المجلسي في نظر الشيخ شريعتمداري على الرغم من كثرة شروح الخطبتين كما يذكر الشيخ فتمكن في عدم رضا الشيخ شريعتمداري عن بعض الشروح السابقة لأن المتصدي - فيما يرى- لبعض هذه الشروح لم يكن أهلا للتصدي للشرح يقول: (لقد كثرة الشروح حول الخطبتين - لاسيما الأولى منها - بالفارسية والعربية- ممن من هو أهل لهذا المضمار ومن ليس بأهل له)^(٢٠)

ويرجع سبب ذلك إلى عدم مراعاة الأمانة العلمية في الأخذ من السابقين في بعض الشروح ، فاللاحق قد يأخذ من السابق من غيري إسناد يقول: (وكثيرا ما أخذ اللاحق من السابق معظم شرحه وتأليفه من غير أن يسنده إلى من أخذ عنه

واستفاد منه^(٢١) وهو احد اهم الأسباب التي جعلت الشيخ شريعتمداري يرى شرح الشيخ المجلسي أحسن الشروح وأتمها فائدة ولذا يقول: (ورأيت احسن الشروح وأتمها فائدة ما أتى به المجلس (قدس الله سره) في ذيل الخطبتين في البحار ولقد أحسن حيث نقل كلام السابقين عليه من المؤلفين واللغويين وأضاف اليه ما يستدعيه المقام أو يكمل به البحث والمرام فراعى الأمانة وإجاد التكملة)^(٢٢) ومراعاة الأمانة العلمية في النقل هي من أهم مقاصد الشيخ شريعتمداري مع شرح العلامة المجلسي قدس إذ يقول: (فجعلت أصلا شرح المجلسي قدس الله سره وأضفت إليه زوائد فكري وعوائد خاطري)^(٢٣) أما السبب الآخر لوضع هذا الشرح في ما يراه الشيخ شريعتمداري فهو الخروج عن وظيفة الشرح في بعض الشروح سعيا لزيادة حجم الكتاب إذ يقول: (وكثيرا ما ذكر بعض الشارحين ما هو خارج عن وظيفة الشرح مما يناسب متن الخطبة ولا يناسبه تكبيرا لحجم الكتاب وغير ذلك من الأغراض)^(٢٤)

وافتقار بعض الشروح لإتقان العلوم الأدبية أدى فيما يراه الشيخ شريعتمداري إلى

إهمال اللطائف والدقائق في الخطبة؛ بسبب عدم اتقان بعض الشراح لعلوم العربية ،يقول الشيخ شريعتمداري(وكثيرا ما تصدى للشرح من لم يتقن العلوم الأدبية ولم يعرف الكلام البليغ من غيره و لم يمارس خطب البلغاء وخواصها ومزاياها فاهمل لطائفها واغفل دقائقها واسقط الخطبة الشريفة عن ذراها والحقها بالكلام المرذول وحملها على غير المقبول)^(٢٥)

أما السبب الأخير فيمكن في تفريط بعض الشروح في التدبر في معاني الخطبة ،يقول الشيخ: (وكثيرا ما فرط بعض الشارحين في التدبر في معاني الكلام ومقاصده فحمله على غير مرماه ، و ترجمه بما لا يبلغ مغزاه)^(٢٦)

وقد لخص الشيخ شريعتمداري منهجه في هذا الشرح بانه جعل كلام الشيخ المجلسي هو الأصل و أضاف اليه ما جاد به فكره عليه في فهم الدقائق حتى يكمل الشرح^(٢٧)، وكان من منهجه أنه لم يكن يخرج عن وظيفة الشرح^(٢٨) ، كما انه ترك التوسع والاستطراد وبذل الجهد في استخراج مزايا الكلام البليغ وما يتعلق بالصور البيانية^(٢٩)

أما المحاولة الثانية التي عمدت إلى استلال شرح العلامة المجلسي لخطبة الزهراء سلام الله عليها فهي ما قام به السيد باقر الكيشوان الموسوي في كتابه (شرح خطبة الزهراء-ع-) فقد قام السيد في كتابه بجمع ثلاثة شروح لهذه الخطبة وهي: شرح القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ) وهو مأخوذ من كتابه (شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار) ، والشرح الثاني هو شرح العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ) ، والشرح الثالث هو شرح الأنصاري التبريزي (ت ١٣١٠هـ) وهو (اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء)

أما السبب في صنيعة هذا ؛ فيمكن في أن السيد كانت تراوده فكرة العثور على شرح لهذا الخطبة وإيضاح المستغلق منها ، فعثر على شرح المجلسي أولا ثم ما لبث أن حصل على الشرحين الآخرين ، فعقد العزم على ترتيب الشروح حسب فقرات الخطبة^(٣٠)

أما منهجه فيتلخص في إيراد فقرات الخطبة الشريفة ، ثم يورد أقوال الشراح بحسب الترتيب الزمني لوفياتهم ، ولم يكن له في هذا الشرح إلا الجمع والترتيب والتنظيم

طلبا لتسهيل الأمر على القارئ في فهم معاني الخطبة^(٣١)

هاتان هما أهم المحاولات التي عمدت إلى استلال شرح العلامة المجلسي لخطبة الزهراء سلام الله عليها ، ولاشك أن عملهما هذا يظهر في بعض مفاصله أهمية هذا الشرح ، الأمر الذي دعاها إلى إعادة نشره - مستقلا أو مع غيره- في كتاب بعد أن كان شرحا ضمينا في ثنايا بحار الأنوار.

منهج العلامة المجلسي في الشرح:

غير خاف أن العلامة المجلسي ينزع في جُلِّ شرحه نحو الاتجاه اللغوي في إيضاح نص الخطبة مستعينا بآراء علماء اللغة ، فهو يستعين بكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)^(٣٢) وكتاب الصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ)^(٣٣) والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٦٠٦هـ)^(٣٤) والمصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٠هـ)^(٣٥) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)^(٣٦) وغيرها وعلى الرغم من هذا الاتجاه اللغوي؛ فقد وجدت الدراسة أن هذا العلامة المجلسي يظهر عناية واضحة بتعدد وجوه المعنى المحتملة التي تؤديها عبارات الخطبة ، ويسعى لتقصي طاقات النص والكشف عن

احتمالاته الدلالية؛ معتمدا تارة على تصويره الذاتي للمعاني المحتملة بوصفه متلقيا للنص ، فيضع تصويره ذلك تحت مسمى الاحتمال ويعبر عن ذلك بقوله : (ويحتمل أن يكون المراد)^(٣٧) أو (ويحتمل المعنى)^(٣٨)

وتارة ينظر بعيون المتلقين الآخرين للنص ؛ فيذهب إلى تعدد المعنى طبقا لما يرونه من احتمالات متعددة قد تقتضيها مسوغات لغوية مختلفة، فيعتمد إلى تقديم تصوراتهم مؤطرة بعبارة (وقيل)^(٣٩) التي قد تتسع لتشمل احتمالات متعددة للعبارة الواحدة.

تسعى هذه الدراسة لتعقب أسباب تعدد المعنى في شرح العلامة المجلسي لنص خطبة السيدة الزهراء - سلام الله عليها - واستكشاف الملامح المنهجية في التعامل معها؛ والدراسة في سعيها هذا تضع في حساباتها وجود عوامل كثيرة لعبت دورا بارزا في ترسيخ ظاهرة تعدد المعنى بوحى من ثقافة الشارح (المجلسي) نفسه ، أو بوحى من الثقافات المتعددة للشارح الذين نقل عنهم المجلسي.

ولا بد من التنويه إلى أن المجلسي قد أخطت لنفسه منهجا خاصا في شرحه يقوم على

اعتماد نسخة معينة بمثابة النسخة (الأم) التي يعتمد عليها في شرح الخطبة وهي رواية كتاب الطبرسي لخصوصية تتعلق فيما يبدو باطمئنان المجلسي لهذه الرواية، مع استثناسه بباقي الروايات التي وصلت إلى يديه بين الحين والآخر ، وهو ينص على هذا المنهج بالقول : (وبنى الشرح على رواية الاحتجاج ونشير أحيانا إلى الروايات الأخر)^(٤٠) وهذا النص من الشارح يظهر بوضوح أن المجلسي قد تعامل مع الروايات المتعددة لنص الخطبة بوصفها بدائل للنص ، وتعددت لغوية محتملة ، وخيارات متوافرة أمام القارئ تمكنه من إعادة إنتاج المعنى، و من هنا فإن الشارح لم يستبعد ما وجدته متعددا من الروايات أو النسخ المختلفة ، والغالب على نظريته انه يعد التعدد في الروايات مساحه تفسح المجال أمام المتلقي كي يعيد النظر في إنتاج المعنى و استكشاف طاقاته ، ومن هنا رأينا الشارح يعتمد على روايات العلماء بوصفها بدائل للنص ومن أبرز هؤلاء الذين اعتمد روايتهم، أبو الفضل احمد بن ابي طاهر(ت ٢٨٠هـ) صاحب كتاب بلاغات النساء، و الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) ، وابن أبي الحديد

(ت٦٥٥هـ) أبو الحسن الاربلي
(ت٦٩٣هـ) فضلا عن اعتماده على روايات أخرى يشير اليها بقوله (وفي بعض الروايات) أو (في بعض النسخ) وهو ما يضعنا أمام قناعة راسخة باعتماد الشارح هذه الروايات المتعددة والاستعانة بها في توجيه معنى النص.

ولا يقف الأمر عند الروايات المتعددة فحسب بل الأمر يتعدى إلى أكثر من ذلك في تعامل الشارح المجلسي مع مسألة (التصحيف) فحتى مع إيمانه بأن بعض الألفاظ في نص الخطبة قد وقع فيه التصحيف - وهو ينص على ذلك - غير ان هذا الأمر لا يقف حائلا بينه وبين توجيه المعنى بموجب تلك اللفظة (المصحفة) ،فهو قد يعمد إلى توجيه المعنى لتلك الرواية التي وقع فيها التصحيف بوصفها أحد وجوه قراءة المعنى على نحو ما نجده يوجه عبارة السيدة الزهراء سلام الله عليها في خطاب الأنصار (تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة)^(٤١)

فيقول ان المراد (بالخبرة علمهم بمظلوميتها صلوات الله عليها والتعبير في الإحاطة والشمول للمبالغة أو للتصريح بأن ذلك قد عمهم جميعا وليس من قبيل الحكم

على الجماعة بحكم البعض أو الأكثر وفي رواية ابن ابي طاهر: الحيرة بالحاء المهملة ولعله تصحيف ولا يخفى توجيهه)^(٤٢)
وإذا كان ظهور المعنى مع الرواية المحتملة التصحيف في النص السابق ،جعل الشارح المجلسي في غنى عن توجيه المعنى ؛ فإن خفاء المعنى يستدعي منه توجيه الرواية المحتملة التصحيف في نصوص أخرى على نحو ما نجده في توجيه عبارة السيدة الزهراء سلام الله عليها التي تبين فيه علة تشريع الحج (والحج تشييدا للدين)^(٤٣)

فيعمد أولا إلى ذكر وجوه المعنى المحتملة بناء على ما تقتضيه الرواية المختارة عنده فيقول: (... إنما خص التشييد به لظهوره ووضوحه وتحمل المشاق فيه ، وبذل النفس والمال له ، فالإتيان به أدل دليل على ثبوت الدين ، أو يوجب استقرار الدين في النفس لتلك العلة وغيرهما مما لا نعرفه ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما ورد في الأخبار الكثيرة من أن علة الحج التشرف بخدمة الإمام وعرض النصره عليه ، وتعلم شرائع الدين منه ، فالتشييد لا يحتاج إلى تكلف.)^(٤٤) ويظهر من هذه الفقرة الأخيرة أنه يرى أن توجيه المعنى طبقا لهذه الرواية المختارة(التشييد) غير

محوج إلى تكلف التأويل أو التعسف في التوجيه؛ غير أن هذه القناعة بهذه الرواية لا تحول بين الشارح المجلسي وبين ذكر الرواية البديلة (تسليية للدين) - التي يراها ظاهرة التصحيف - وتوجيه المعنى طبقا لها، لأنها أحد أوجه القراءة المحتملة، فيقول: (وفي العلل ورواية ابن أبي طاهر : تسليية للدين ، ففعل المعنى تسليية للنفس ، بتحمل المشاق وبذل الأموال بسبب التقيد بالدين ، أو المراد بالتسليية : الكشف والإيضاح ، فإنها كشف الهم ، أو المراد بالدين : أهل الدين ، أو أسند إليه مجازا ، والظاهر أنه تصحيف : تسنية ، وكذا في الكشف. وفي بعض نسخ العلل أي يصير سببا لرفعة الدين وعلوه)^(٤٥)

إن اختلاف الرواية بين (تشديد) في الرواية المختارة عند الشارح وبين (تسليية) في الرواية البديلة لم يمنع المجلسي من إمعان النظر في الرواية البديلة؛ لان الاختلاف بين الروایتين قد أوجدا - من وجهة نظر الشارح - اختلافا في المعنى رأى أن من الواجب عليه الإشارة إليه ، مع إفصاح الشارح عن أسباب استجاده للرواية المختارة بسبب وضوحها وعدم احتياجها إلى التكلف في التوجيه.

والملفت حقا في تعامل الشارح المجلسي مع الروايات البديلة (المصحفة)؛ قيامه بتوجيه المعنى في ضوئها قبل الإشارة إلى احتمال ان هذه القراءة أو الرواية من قبيل تصحيف، على نحو ما نجده يتعامل مع هذا النص الذي يصف جانبا من تعامل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع المشركين ، فقد كان صلى الله عليه وآله : (مائلا عن مدرجة المشركين)^(٤٦)

إذ يقف الشارح المجلسي إزاء اختلاف الرواية بين (مائلا) و (ناكبا) و (مائلا) ليوجه المعنى في ضوء تلك القراءات المتعددة ، ثم يشير في نهاية الأمر إلى أن المستقر عنده دخول التصحيف على الرواية البديلة ، يقول : (والمدرجة : المذهب والمسلك ، وفي الكشف : ناكبا عن سنن مدرجة المشركين ، وفي رواية ابن أبي طاهر : مائلا على مدرجة .. أي قائما للرد عليهم ، وهو تصحيف)^(٤٧)

ولا يمنع الشارح المجلسي إجماع أكثر النسخ على رواية معينة من إبداء رأيه في المخالفة غير ان هذا الأمر لا يصرفه عن توجيه المعنى بحسب الرواية الأكثر ورودا مسجل رأيه في نهاية المطاف بأن الأظهر عنده ان هذه الرواية - مع إجماع النسخ عليها -

قد وقعت التصحيف فيها مؤيدا رأيه بالسياق اللفظي الوارد في الخطبة على نحو ما نجده يتعامل مع عبارة السيدة الزهراء سلام الله عليها في خطاب الأنصار: (إيها بني قيلة! أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع ، ومبتدٍ ومجمع)^(٤٨)

فيعمد إلى توجيه المعنى طبقا لرواية أكثر النسخ : (والمبتدأ في أكثر النسخ بالباء الموحدة مهموزا ، فلعل المعنى أنكم في مكان يبتدأ منه الأمور والأحكام ، والأظهر أنه تصحيف المنتدى . بالنون غير مهموزة . بمعنى المجلس ، وكذا في المناقب القديم ، فيكون الجمع كالتفسير له ، والغرض الاحتجاج عليهم بالاجتماع الذي هو من أسباب القدرة على دفع الظلم)^(٤٩)

وقد يكون تعدد القراءات في اللفظة المصحفة مؤديا إلى حمل أحد وجوه المعنى على الكناية عن معنى معين ، مستدلا على ذلك بما يناظره من نصوص تقترب منه في أداء الغرض ، على نحو ما نجده يتعامل مع توجيه معنى (خضوع الشرك) في عبارة السيدة الزهراء سلام الله عليها في قولها: (وخضعت نعة الشرك)^(٥٠) فالقراءات المتعددة للفظ (نعة) يترتب عليها تغير

معنى العبارة بكاملها فإذا قرأت (النعة . بالنون والعين والراء المهملتين . مثال همزة : الخيشوم والخيلاء والكبر أو بفتح النون من قولهم : نعر العرق بالدم .. أي فار ، فيكون الخضوع بمعنى السكون ، أو بالغين المعجمة من نغرت القدر .. أي فارت . وقال الجوهري : نغر الرجل . بالكسر . أي اغتاض ، قال الأصمعي : هو الذي يغلي جوفه من الغيظ . وقال ابن السكيت : يقال : ظل فلان يتنغر على فلان .. أي يتذمر عليه ، وفي أكثر النسخ بالثاء المثلثة المضمومة والغين المعجمة ، وهي نقرة النحر بين الترقوتين ، فخضوع ثغرة الشرك كناية عن محقه وسقوطه كالحیوان الساقط على الأرض ، نظيره قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وآله : أنا وضعت ، كل كل العرب . أي صدورهم)^(٥١) ويظهر واضحا أن القراءة الأخيرة قد أدت إلى حمل توجيه معنى العبارة على الكناية.

وربما استند توجيه المعنى في بعض عبارات الخطبة إلى إبداء الرأي في تصحيف قد وقع مستدلا على ذلك بما يسميه (الاستعمال الشائع) الذي يكفل هذا التوجيه الذي رآه الشارح المجلسي على نحو

ما نجده يتعامل مع رواية بديلة في قول السيدة الزهراء سلام الله عليها (ما هذه الغميرة في حقي)^(٥٢) إذ يذكر أن رواية صاحب كتاب بلاغات النساء (الغميرة) فيقول: (وفي رواية ابن أبي طاهر بالراء المهمة ، ولعله من قولهم غمر على أخيه .. أي حقد وضغن ، أو من قولهم : غمر عليه .. أي أغمي عليه ، أو من الغمر بمعنى الستر ، ولعله كان بالضاد المعجمة فصحف ، فإن استعمال إغماض العين . في مثل هذا المقام . شائع.)^(٥٣)

ويظهر واضحاً أن قناعة الشارح المجلسي كانت تميل إلى احتمال وقوع التصحيف في القراءة البديلة ، وقد قدّم القراءة المناسبة لها فيما يراه ، معززا رأيه بالذهاب إلى أن القراءة المقترحة للتصحيف شائعة في الاستعمال ، غير أن كل هذا لم يأت إلا بعد أن مكّن المجلسي القارئ من كل الاحتمالات الممكنة في توجيه المعنى على الرواية البديلة (المصحفة) ، وذكر الدلالات المحتملة لها .

تعدد دلالات المفردة:

ولا يقف الأمر عند الروايات التي طرأ عليها التصحيف في بعض ألفاظها، وإنما تمتد إلى تتبع الدلالات المحتملة للمفردة ،

فقد يتوقف الشارح إزاء المفردة لأنها تحتمل أكثر من دلالة، فيتعدد المعنى تبعاً لذلك، على نحو ما نجده يتعامل مع مفردة (قدّم) في قول السيدة الزهراء سلام الله عليها في تحميد الله والثناء عليه (وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتداها)^(٥٤) إذ يرى أن هذه المفردة تحتمل معنيين قائلاً: أن (قولها صلوات الله عليها : بما قدم .. أي بنعم أعطائها العباد قبل أن يستحقوها ، ويحتمل أن يكون المراد بالتقديم الإيجاد والفعل من غير ملاحظة معنى الابتداء ، فيكون تأسيساً.)^(٥٥)

الغيبة والخطاب وتعدد المعنى:

وتعدد المعنى في العبارة الواحدة قد يكون ناتجاً من نواتج احتمال تصوّر أن يكون الكلام موجهاً إلى الغائب أو المخاطب، وهو ما يفضي بالشارح إلى تغير في تصور المعنى النهائي؛ لأنه يقف الآن بين بنيتين مختلفتين ، ولكل منهما دلالة التي قد تباين الأخرى، على نحو ما نجد في عبارة السيدة الزهراء سلام الله عليها مع أمير المؤمنين سلام الله عليه (افترست الذئاب)^(٥٦) إذ يحتمل الشارح أن تكون هذه العبارة بصيغة الغائب أو تكون بصيغة الخطاب ولكل منهما توجيه في

المعنى ، فيقول : (ويمكن أن يقرأ بصيغة الغائب ، فالذئاب مرفوع ، والمعنى : قعدت عن طلب الخلافة ولزمت الأرض مع أنك أسد الله ، والخلافة كانت فريستك حتى افترسها وأخذها الذئب الغاصب لها ، ويحتمل أن يكون بصيغة الخطاب .. أي كنت تفترس الذئاب واليوم افترشت التراب وفي بعض النسخ : الذباب . بالباءين الموحدين . جمع ذبابة ، فيتعين الأول ، وفي بعضها : افترست الذئاب وافترستك الذئاب)^(٥٧) ويظهر كيف أن الشارح قد أورد في نهاية النص روايتين لنسختين أخريين ، الأولى منهما تقضي بتعين أحد الوجهين على الآخر، أما الثانية فهي تبقي الاحتمال واردا لكلا الصيغتين (الغيبة أو الخطاب) السابقتين.

اختلاف الصيغة الصرفية وتعدد المعنى:

وقد يكون مرجع الشارح في توجيه المعنى أن دلالة صيغة صرفية معينة أنسب من غيرها في موضعها ؛ لأن سياق المقام يقتضيها في ذلك الموضع من الكلام ، وإن كان في هذا الصنيع مخالفة لما وصل إلى الشارح من روايات، مثلما نجد في ترجيح صيغة (الإفعال) على صيغة (الإفتعال) الصرفية في كلمة (احتقبوها)

من العبارة : (فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر)^(٥٨) إذ يقول: (والحقب . بالتحريك . حبل يشد به الرجل إلى بطن البعير ، يقال : احقبت البعير .. أي شدته به ، وكل ما شد في مؤخر رجل أو قتب فقد احتقب ، ومنه قيل : احتقب فلان الإثم كأنه جمعه واحتقبه من خلفه ، فظهر أن الأنسب في هذا المقام أحقبوها . بصيغة الإفعال . أي شدوا عليها ذلك وهيئوها للركوب ، لكن فيما وصل إلينا من الروايات على بناء الافتعال)^(٥٩)

السياق المقامي وتعدد المعنى:

ومثلما رأينا أن سياق المقام في النص السابق قد يؤدي بالشارح إلى ترجيح صيغة على غيرها ؛ لأن المقام يتطلبها ؛ فقد يكون سياق المقام والاحتكام إليه فيصلا مقبولا عند الشارح في توجيه معنى المفردة ؛ لأن الاحتكام إليه كفيل بمعرفة الوجه غير المناسب واستبعاده ، والاهتداء إلى التوجيه الأنسب ، كما نجد في توجيه معنى (الغميزة) من عبارة السيدة الزهراء سلام الله عليها (ما هذه الغميزة في حقي)^(٦٠)

إذ يقول: (.. قال الجوهرى : ليس في فلان غميزة أي مطعن ، ونحوه ذكر الفيروزآبادي ، وهو لا يناسب المقام إلا

بتكلف. وقال الجوهري : رجل غمز أي
ضعيف. وقال الخليل في كتاب العين :
الغميزة . بفتح الغين المعجمة والزاي ضعفة
في العمل وجهلة في العقل ويقال :
سمعت كلمة فاعتمزتها في عقله أي علمت
أنه أحمق. وهذا المعنى أنسب.^(٦١)

والشارح الذي استبعد في النص السابق
توجيه المفردة لعدم مناسبتها للمقام ؛ يقبل
الرواية المختلفة تماما عن الرواية المختارة -
عنده - اذا لم يجد فيها ما يناقض سياق
المقام ، مثلما نجد في عدم استبعاده للرواية
التي تضع (الفترة) بدلا من (الغميزة) في
العبارة السابقة، إذ يقول : (وفي الكشف:
ما هذه الفترة . بالفاء المفتوحة وسكون
التاء . وهو السكون ، وهو أيضا
مناسب).^(٦٢) فمع ما بينهما من التخالف
في الصيغة إلا أن الشارح المجلسي يقبل
هذه القراءة ويراها تناسب المقام.

تعدد الروايات وتوجيه المعنى:

بل إن الشارح قد يذهب إلى ما أبعد من
ذلك في قراءة الرواية البديلة ، فيعمد إلى
تفجير الطاقات الدلالية الكامنة في الرواية
البديلة الواردة في بعض النسخ - وان
كانت تلك الرواية تباين الرواية المعتمدة -
على نحو ما نجده يتعامل مع الرواية البديلة

لعبارة السيدة الزهراء سلام الله عليها في
وصف القوم في جاهليتهم (وتقتاتون
الورق)^(٦٣)

إذ وردت (في بعض النسخ : وتفتاتون
القد ، وهو . بكسر القاف وتشديد الدال
- سير يقدر من جلد غير مدبوغ ، والمقصود
وصفهم بخبثاة المشرب وجشوبة المأكّل ،
لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم في دنياهم
، ولفقرهم وقلة ذات يدهم ، وخوفهم من
الأعادي).^(٦٤)

الوجوه الإعرابية وتوجيه المعنى:

والنص قد يحتمل أكثر من توجيه في
المعنى؛ لأن الشارح يعي تماما أن تصوّر
الإعراب المختلف للعبارة يترتب عليه
الاختلاف المتباين في معنى النص على نحو
ما نجد من الوجوه المحتملة في قراءة لفظة
(سيد) في عبارة السيدة الزهراء سلام الله
عليها في وصف حسن بلاء أمير المؤمنين
: (قريبا من رسول الله ، سيد أولياء
الله)^(٦٥) إذ الشارح يحتمل في قراءته للنص
أن يتوجه المعنى بأحد وجهين ، إما تكون
وصفا لرسول الله صلى الله عليه وآله ،
وإما تكون وصف لأمير المؤمنين عليه
السلام ، طبقا لاحتمال الوجوه الإعرابية
الممكنة؛ لأن لفظ (سيد) يحتمل الجر

والنصب إذ يقول : (. بالجر . صفة الرسول (ص) أو بالنصب عطفًا على الأحوال السابقة)^(٦٦) أي تكون وصف لأحوال أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يرجح هذا الرأي الثاني على الأول لوجود رواية أخرى تعضده قائلاً : (ويؤيد الأخير ما في رواية ابن أبي طاهر : سيدا في أولياء الله.)^(٦٧)

أثر الحروف في توجيه المعنى:

ولا يقف الأمر في توجيه معنى النص على الأسماء والأفعال، وإنما يتعدى ذلك إلى العناية بالحروف، و توجيه المعنى بموجبها؛ لأن اختيار الحروف يلعب دوراً في توجيه المعنى، فقد يقف الشارح في قراءته للنص ليبيّن سبب التعدية بهذا الحرف دون غيره، على نحو ما نجده يعالج عبارة السيدة الزهراء سلام الله عليها في الثناء على نعم الله عز وجل: (وإحسان ممن والها جمّ عن الإحصاء عددها)^(٦٨) إذ ورود الحرف (عن) يتطلب من الشارح بيان سبب التعدية بهذا الحرف، فيقول : (وجمّ الشيء أي كثر، والجَم : الكثير، والتعدية بعن لتضمين معنى التعدي والتجاوز.)^(٦٩) فالتعدية بالحرف جاءت لتحقيق غرض تمثل في أن هذه النعم

الإلهية تجاوزت الحد في كثرتها وتعدت الإحصاء.

وقد يرى الشارح أن التعدية بأحد الحروف تستند إلى الاستعمال الشائع المعروف، غير أن هذا لا يعفيه من تتبع الاحتمالات التي تترتب على استعمال هذا الحرف؛ لأن المعاني تتعدد بحسبها كما نجده يفعل في حديثه عن (تعدية الحمد بإلى) في عبارة السيدة الزهراء سلام الله عليها (واستحمد إلى الخلائق بإجزالها)^(٧٠) فبعد أن يشرح معنى التعدية في العبارة؛ ينتقل للحديث عن تعدية شائعة أخرى، ويذكر وجوه المعنى المحتملة والمستبعدة فيها قائلاً: (التعدية بإلى لتضمين معنى الانتهاء أو التوجه، وهذه التعدية في الحمد شائع بوجه آخر، يقال: أحمد إليك الله، قيل: أي أحمده معك، وقيل: أي أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إياها، ويحتمل أن يكون استحمد بمعنى تحمد، يقال: فلان يتحمد علي.. أي يمتن، فيكون إلى بمعنى على، وفيه بعد.)^(٧١)

الضمائر وتوجيه المعنى:

ولعل الضمائر وتحديد ما تعود عليه من بين أكثر المفردات التي تجعل الشارح متردداً في توجيه المعنى بأكثر من وجه؛

نظرا لصعوبة تحديد مفهومها الدلالي إلا بشيء من الجهد ، الذي يقتضي الوقوف على مع ما تشير إليه، على نحو ما نجده يعدد المعنى بناء على عائدية الضمير في(موصولها) من عبارة السيدة الزهراء سلام الله عليها في مواصفات الشهادة لله بالوحدانية (و اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الإخلاص تأويلها ، وضمن القلوب موصولها، وأنار في الفكر معقولها)^(٧٢)

إذ رأى الشارح أن عبارة (وضمن القلوب موصولها) تحتل أربعة وجوه، بنى التأويل في الوجوه الثلاث الأولى منها على رجوع الضمير في (موصولها) على كلمة الإخلاص، وعدد المعنى استنادا لهذه العائدية ، أما الوجه الرابع فأحتمل فيه أن يعود الضمير في (موصولها) على القلوب ، يقول : (الرابع : أن يكون الضمير في موصولها راجعا إلى القلوب ، أي لم يلزم القلوب إلا ما يمكنها الوصول إليها من تأويل تلك الكلمة الطيبة ، والدقائق المستنبطة منها أو مطلقها ، ولو لا التفكيك لكان أحسن الوجوه بعد الوجه الأول ، بل مطلقا.)^(٧٣)

ويظهر واضحا أن هذا الوجه الأخير هو أحسن الوجوه عند الشارح المجلسي لولا أنه قد يترتب عليه بعض التفكيك في النص؛ لأن الضمائر السابقة واللاحقة تعود على (شهادة التوحيد) وهذا القول الأخير يرجع الضمير على (القلوب) فتصير العبارة مفككة ؛لوجود مرجعين للضمير. ولولا وجود التفكيك الذي رآه في هذا الوجه لكان هذا التوجيه أحسن وجوه المعنى على الإطلاق.

الحقيقة والمجاز وتوجيه المعنى:

وقد تفتح العبارة للشارح باب التأويل، فيذهب في قراءتها إلى تصورين مختلفين يذهب في أولاهما إلى حمل المعنى على الحقيقة ، ويذهب في ثانيهما إلى توجيه المعنى حملا على الرؤية المجازية، كما نجده يتعامل مع عبارة السيدة الزهراء سلام الله عليها في قولها (واستحمد إلى الخلائق بأجزالها)^(٧٤)

فعبارة(استحمد) أي طلب الحمد ، يحملها الشارح على أحد وجهين الأول: مجازي والثاني: حقيقي ، فيقول: (.. أي طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم ، يقال : أجزلت له من العطاء .. أي أكثر ، وأجزاك النعم

كأنه طلب الحمد أو طلب منهم الحمد
حقيقة لإجزال النعم)

الاستعارة وتوجيه المعنى:

وقد لا يجد الشارح بدا من حمل العبارة
على الاستعارة لأنها تستند إلى الاستعمال
البليغ الشائع المتعارف عليه، على نحو ما
نجد يوجه معنى العبارة في قول السيدة
الزهراء سلام الله عليها في وصف جهاد
أمير المؤمنين عليه السلام في إطفاء نار
المشركين) فلا ينكفي حتى يظأ صماخها
بأخمصه ، ويحمد لهيها بسيفه^(٧٥)

إذ يرى ان (وطء الصماخ) و(إخماد
اللهب بالسيف) محمول على الاستعارة
البليغة الشائعة إذ يقول: (ووطء الصماخ
بالأخمص عبارة عن القهر والغلبة على أبلغ
وجه ، وكذا إخماد اللهب بماء السيف
استعارة بليغة شائعة.)^(٧٦)

التشبيه وتوجيه المعنى:

وقد يجد الشارح في العبارة ما يستدعي
الذهاب في توجيه المعنى حملا على التشبيه
في جهة من جهات التلاقي التي ترجح
ذلك، كما نجد في توجيه معنى: (واطلع
الشیطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم)^(٧٧)
إذ يحتمل الشارح أن يوجه المعنى بأن
الشیطان قد شبه بالقنفذ أو بالرجل

الحريص فيقول: (ومغرز الرأس - بالكسر
-: ما يختفي فيه، وقيل: لعل في الكلام
تشبيها للشیطان بالقنفذ، فإنه إنما يطلع
رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل
الحريص المقدم على أمر فإنه يمد عنقه
إليه.)^(٧٨)

الحذف وتوجيه المعنى:

وقد يكون سبب تعدد المعنى في العبارة أن
الشارح يحتمل حذف بعض العناصر
الغوية ، فيعمد إلى تأويل ذلك المحذوف
فتعطي العبارة معنى جديدا ، على نحو ما
نجد في عبارة: (المتنع من الأبصار رؤيته،
ومن الألسن صفته)^(٧٩) إذ الشارح يتوقف
عند امتناع الصفة من الألسن ويحتمل في
العبارة أن تحمل على معنيين أحدهما: قاده
إليه ظاهر العبارة ، وثانيهما: معنى مشهور
يستند على الحذف، قائلا: (الظاهر أن
الصفة هنا مصدر ، ويحتمل المعنى المشهور
بتقدير أي بيان صفته.)^(٨٠) فالشارح قد
لجأ إلى تقدير المحذوف في التوجيه الثاني
ورأى إن هذا المعنى مشهور.

معنى المعاني وتوجيه المعنى:

والعبارات المتتابعة - وإن أعطت عند
الشارح معان متعددة - ؛ قد يفهم منها
معنى مركزيا ، أو يوحي له بما يمكن ان

نسميه (معنى المعاني) الذي قد يعبر عنه الشارح بعبارة (المقصود) فيما تقدم أو قد يعبر عنه بعبارة (الحاصل) وهو يقصد أن محصلة هذه المعاني المتتابعة للعبارات تحيل إلى المعنى المتحصل، على نحو ما نجد في توجيه عبارة (وتوفية المكايل والموازن تغييرا للبخس)^(٨١)

فالعبرة عنده تحتل احد وجهين - مع أن كليهما يؤدي مقصودا ثابتا- المعنى الأول : ان توفيه الميزان مدعاة للبركة في ماله صاحب المكيال والميزان نفسه. الثاني: حتى لا يحصل نقص في أموال الناس الآخرين، و على التأويلين هناك مقصود واضح يجتمع الوجهان عليه، ان انقاص الوزن أمر يحكم العقل بقبحه يقول الشارح : (تغيرا للبخس .. وفي سائر الروايات : للبخسة .. أي لثلا ينقص مال من ينقص المكيال والميزان ، إذ التوفية موجبة للبركة وكثرة المال ، أو لثلا ينقصوا أموال الناس فيكون المقصود أن هذا أمر يحكم العقل بقبحه)^(٨٢)

وقد يجد الشارح في تتابع بعض العبارات ان مقصودا واحدا يمكن أن توحى به تلك الفقرات المتقدمة على نحو ما نجد في العبارة الآتية: (وأنتم في رفاهية من العيش،

وادعون فاكهون آمنون، تتريصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال)^(٨٣) فهذه العبارات على ما بينها من تفاوت في المعنى ؛ فإنها تؤدي في المحصلة معنى متفقا عليه فيما بينها، يوجزه الشارح بعد أن يفسر تلك الفقرات بقوله : (والمقصود من تلك الفقرات أنهم لم يزالوا منافقين لم يؤمنوا قط.)^(٨٤)

وعلى نحو ذلك ما نجده في هذه الفقرات المتتابعة في قول السيدة الزهراء سلام الله عليها في وصف صنيع المنافقين (ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهماد سنن النبي الصفي)^(٨٥)

لأن المقصود من (معنى معاني) هذه الفقرات يوجزه الشارح بقوله: (والحاصل ، أنكم إنما صبرتم حتى استقرت الخلافة المغصوبة عليكم ، ثم شرعتم في تهيج الشرور والفتن واتباع الشيطان ، وإبداع البدع ، وتغيير السنن.)^(٨٦)

والانتقال من المعنى الأولى للعبارة إلى المعنى الثانوي (معنى المعاني)- كما سميناه - يُظهر مدى عناية الشارح بالدلالات

في ذلك النص، وهو ما يظهر قدرة العلامة المجلسي ومقدرته في معايشة النص واستنطاقه، كما يظهر مدى الثقافة التي تمتع بها إزاء احتواء الآراء المختلفة للقراء الآخرين الذين ادلوا بدلوهم في فهم النص، كما تظهر مرونة علمية عالية في استيعاب دوافع القراءات المختلفة عندهم.

الهوامش:

- ^١ ينظر: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ٣/٤٠-٥٥
- ^٢ ينظر: بحار الأنوار: ٢٩/٢٤٦-٣٢٣
- ^٣ ينظر: بلاغات النساء: ١٦-٢٥
- ^٤ م. ن: ٣
- ^٥ ينظر: بحار الأنوار: ٢٩/٢٢٠-٢٤٦
- ^٦ م. ن: ٢٩/٢٤٦-٢٤٧
- ^٧ اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء سلام الله عليها: ٢٢
- ^٨ كشف المحجة في شرح خطبة اللمة: ٢٥
- ^٩ م. ن: ٢٧
- ^{١٠} شرح خطبة الزهراء: ٢٩
- ^{١١} شرح خطبة الزهراء وأسبابها: ٢٠
- ^{١٢} اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام: ٢١
- ^{١٣} الدرّة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (عليها السلام): ٣٢٠
- ^{١٤} شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء: ١٠٩
- ^{١٥} م. ن: ١٠٩

والمفاهيم التي ارتبط بعض ببعض، وإن بدت للقارئ أكثر خفاء، واعقد في الاكتشاف، على نحو ما نجد في العبارات الأتية: (ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا، وبئة الصدر، وتقدمة الحجة).^(٨٧)

فهذه العبارات التي شرحها المجلسي كل على حده؛ وجدها في نهاية المطاف تدور على معنى المعاني الخاص بها والذي عبر عنه بقوله: (والحاصل، أن استنصاري منكم، وتظلمي لديكم، وإقامة الحجة عليكم، لم يكن رجاء للعون والمظاهرة بل تسلية للنفس، وتسكيناً للغضب، وإتماماً للحجة، لئلا تقولوا يوم القيامة: (إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)^(٨٨)

و هذه النماذج تكشف بوضوح خصوصية النص من جهة، وتُظهر مدى عناية الشارح بإبراز كثافة النص من جهة أخرى، إذ أبدى الشارح المجلسي اهتماماً بإبراز غزارة المعنى من خلال الالتفات إلى المعاني المحتملة للعبارة الواحدة، جاعلاً من اختلاف القراءات المتباينة للنص مدخلاً مناسباً للتوسع في فهم المداليل المتوقعة

- ^{١٦} شرح خطبة الزهراء عليها السلام وأسبابها
٢٠: ينظر: م.ن: ٢٩/ ٢٥٣، ٢٩٧.
- ^{١٧} بحار الانوار: ٢٩/ ٢٤٧.
- ^{١٨} ينظر: الزهراء (ع) وخطبة فدك - شرح الخطبة الفدكية - ١٩:
^{١٩} م. ن : ١٩:
^{٢٠} م.ن: ١٧:
^{٢١} م.ن: ١٧:
^{٢٢} م.ن: ١٩:
^{٢٣} م.ن: ١٩:
^{٢٤} م. ن : ١٧:
^{٢٥} م.ن: ١٧:
^{٢٦} م.ن: ١٨:
^{٢٧} م.ن: ١٩:
^{٢٨} م.ن: ١٩:
^{٢٩} م.ن: ١٩:
^{٣٠} شرح خطبة الزهراء: ١٠:
^{٣١} م.ن: ١٠:
^{٣٢} ينظر: بحار الانوار: ٢٩/ ٢٨٢.
- ^{٣٣} ينظر: م.ن: ٢٩/ ٢٦٥، ٣٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٩٣، ٣٩٤، ٢٩٨، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٠.
- ^{٣٤} ينظر: م. ن : ٢٩/ ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥١ .
- ^{٣٥} ينظر: م. ن : ٢٧٧، ٣٠٩ .
- ^{٣٦} ينظر: م. ن : ٢٩/ ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٨٤، ٣٠٩.
- ^{٣٧} ينظر: م.ن: ٢٩/ ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢١٣، ٣١٦.
- ^{٣٨} ينظر: م.ن: ٢٩/ ٢٥٣، ٢٩٧.
- ^{٣٩} ينظر: م.ن: ٢٩/ ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٢، وغيرها كثير
- ^{٤٠} م.ن: ٢٩/ ٢٤٧
- ^{٤١} م.ن: ٢٩/ ٢٢٨، ٢٨٩.
- ^{٤٢} بحار الانوار: ٢٩/ ٢٨٩.
- ^{٤٣} م.ن: ٢٩/ ٢٢٣، ٢٥٩.
- ^{٤٤} م.ن: ٢٩/ ٢٥٩.
- ^{٤٥} م.ن: ٢٩/ ٢٥٩- ٢٦٠.
- ^{٤٦} بحار الانوار: ٢٩/ ٢٢٤.
- ^{٤٧} م.ن: ٢٩/ ٢٦٣.
- ^{٤٨} م.ن: ٢٩/ ٢٢٨، ٢٨٩، ٢٩٠.
- ^{٤٩} م.ن: ٢٩/ ٢٩٠.
- ^{٥٠} م.ن: ٢٩/ ٢٤٤.
- ^{٥١} م.ن: ٢٩/ ٢٩٣.
- ^{٥٢} م.ن: ٢٩/ ٢٢٧.
- ^{٥٣} بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٨٣.
- ^{٥٤} م.ن: ٢٩/ ٢٢٠، ٢٤٠.
- ^{٥٥} م.ن: ٢٩/ ٢٥٠.
- ^{٥٦} م.ن: ٢٩/ ٢٣٤.
- ^{٥٧} م.ن: ٢٩/ ٣١٧.
- ^{٥٨} بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٣٠.
- ^{٥٩} م.ن: ٢٩/ ٣٠٠.
- ^{٦٠} م.ن: ٢٩/ ٢٢٧.
- ^{٦١} م.ن: ٢٩/ ٢٨٢.
- ^{٦٢} بحار الانوار: ٢٩/ ٢٨٢.
- ^{٦٣} م.ن: ٢٩/ ٢٦٧.

- ٦٤ م.ن: ٢٩/٢٦٧
- ٦٥ م.ن: ٢٩/٢٧٠.
- ٦٦ م.ن: ٢٩/٢٦٩-٢٧٠
- ٦٧ م.ن: ٢٩/٢٧٠.
- ٦٨ بحار الأنوار: ٢٩٢٢١، ٢٤٠.
- ٦٩ م.ن: ٢٩/٢٥٠.
- ٧٠ م.ن: ٢٩/٢٢١، ٢٤٠.
- ٧١ م.ن: ٢٩/٢٥٢.
- ٧٢ بحار الأنوار: ٢٩/٢٢١، ٢٤٠.
- ٧٣ م.ن: ٢٩/٢٥٣.
- ٧٤ بحار الأنوار: ٢٩/٢٢١، ٢٤٠.
- ٧٥ م.ن: ٢٩/٢٢٤.
- ٧٦ م.ن: ٢٩/٢٦٩.
- ٧٧ م.ن: ٢٩/٢٢٥.
- ٧٨ بحار الانوار: ٢٩/٢٧٣.
- ٧٩ م.ن: ٢٩/٢٢١.
- ٨٠ م.ن: ٢٩/٢٥٣.
- ٨١ م.ن: ٢٩/٢٢٣.
- ٨٢ م.ن: ٢٩/٢٦٠.
- ٨٣ بحار الانوار: ٢٩/٢٢٥.
- ٨٤ م.ن: ٢٩/٢٧١.
- ٨٥ م.ن: ٢٩/٢٢٥-٢٢٦.
- ٨٦ م.ن: ٢٩/٢٧٧.
- ٨٧ م.ن: ٢٩/٢٢٩-٢٣٠.
- ٨٨ م.ن: ٢٩/٣٠٠، والآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.
- المصادر والمراجع:
- القرآن الكريم .
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان ، ١٤٢٩-٢٠٠٨ م
- بلاغات النساء: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (المتوفى: ٢٨٠هـ) صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والددة عباس الأول، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م.
- الدرة البيضاء في شرح خطبة الزهراء(عليها السلام) العلامة السيد هادي الحسيني الصائغ(ت ١٣٧٧هـ) ، تحقيق محمد جواد نورالدين فخرالدين ، مجلة تراثنا ، السنة السابعة والعشرون ، العددان : الثالث والرابع (١٠٧-١٠٨) ، مطبعة ستاره - قم ، ١٤٣٢هـ.
- الزهراء (سلام الله عليها) وخطبة فدك - شرح الخطبة الفدكية - : الشيخ محمد باقر المجلسي(١١١١هـ) علق عليه: الشيخ محمد تقى شريعتمداري ، دار كلستان كوتر للنشر - ايران - طهران ، ٢٠٠٣ م.
- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤٣١هـ.
- شرح خطبة الزهراء: السيد أبو القاسم جعفر بن الحسين الخوانساري (١١٥٨هـ) ، تحقيق: السيد محمود الغريفي ، دار حفظ التراث البحري ، ط ١٤٣١هـ.

شرح خطبة الزهراء وأسبابها : الشيخ نزيه
القميحا ، ط ٢ ، بيروت - المريجة ١٤١٥ هـ -
١٩٩٥ م.

شرح خطبة الصديقة الزهراء (سلام الله عليها)
:الشيخ محمد طاهر الش بير الخاقاني ، تعليق :
الشيخ محمد كاظم ال شبير الخاقاني ،
منشورات أنوار الهدى - قم ، ١٤١٢ -
١٣٧١ هـ .

كشف المحجة في شرح خطبة اللمة - شرح
خطبة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) : السيد
عبد الله شبر ، تحقيق: علي الأسدي ، مكتبة
فدك لا حياء التراث - ايران - قم ، ٢٠٠٧ م.
اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها
السلام / تأليف المولى محمد علي بن احمد
القراچه داغي التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠ هـ)
هـ؛ تحقيق هاشم الميلاني ، دار التبليغ
الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ١٣٥٢ ق.

